المركز الجامعيّ –ميلة–

لسانيّات النّصّ ونظريّة النّظم

مستوى السّنة الثّانية ماستر / لسانيّات عربيّة (2024/2023)

ملخّص محاضرة: بعض مصطلحات لسانيات النّصّ في كتاب دلائل الإعجاز

لنظريّة النّصّ وجودٌ في تراثنا العربيّ، فنظريّة الجرجانيّ حافلة بالمصطلحات اللّسانيّة الّتي أشارت إليها الدّراسات اللّسانيّة المعاصرة، ولا سيما من خلال نظريّة النّظم الّتي تحوي مفاهيم الاتّساق والسّبك والانسجام والمقبولية والفصاحة والحذف، وغيرها من المصطلحات.

ترتبط نظريّة النظم بالقرآن الكريم وإعجازه، حيث الإعجازُ في نظمه ونسحه من عدّة جوانب التراكيب النحويّة واللّغويّة.

إنّ المتأمّل في كتاب دلائل الإعجاز ليستنتج نقاطَ التّقاطعِ بين مجموعةٍ من المصطلحات الّتي ارتضاها اللّسانيّون المحدِثونَ في دراساتهم للنّصّ منذ بداية الخمسينات إلى الثمانينات من القرن الماضي وبين المصطلحات اللّسانيّة العربيّة الّتي وضعها البلاغيّون، ووصلت أوجّها في الاستعمال والشّمولِ عند عبد القاهر الجرجانيّ في نظريّة النظم، أين حاول زيادةً على دراسة الجوانب النحويّة للنَّصّ القرآنيّ، فهو يكشف عن التّماسك النّصيّ في القرآن الكريم، وانسجام آياته؛ حيث اعتمد عبد القاهر الجرجاني في كتابه على نصوص دالّة على الإعجاز القرآنيّ مُستثمِرًا في ذلك جهودَ سابقيه من علماء البلاغة منذ القرن الثّالث الهجريّ ليبنيَ بها نظريتَه مستعِلا توجّهه ومذهبه بين مختلف المذاهب المنتشرة في زمانه على الرغم من كونه أشعريّا، لتلقى جهوده صدى في زمانه وفيما جاء بعده من جهود لسانية عربيّة أوغربيّة. فيكف يمكن أن نقارب ونقارن بين مصطلحات الجرجانيّ والّتي جاء بها لسانيو الدّراسات النّصيّة؟

ومن المصطلحات الواضحة في لسانيات النّصّ عند الجرجانيّ مصطلح النّظم؛ "وأمّ نظم الكلم فليس الأمر فيه كذلك، لأنّك تقتضي في نظمها آثار المعاني وترتيبها على حساب المعاني في

النّفس، فهو إذن نظمٌ يُعتبر فيه حال المنظوم بعضِه مع بعض، وليس هو النظم الّذي معناه ضمّ الشّيء إلى الشّيء كيفما جاء واتّفق، وكذلك عندهم نظيرا للنّسج والتّأليف، والصياغة والبناء، والوشي والتّحبير، وما أشبه ذلك ممّا يوجب اعتبار الأجزاء بعضها مع بعضٍ، حتّى تكون لوضعِ كلٍّ حيث وُضع علةً تقتضي كونَه هناك وحتّى لو وُضِع في مكانٍ غيره لم يصلح"[1].

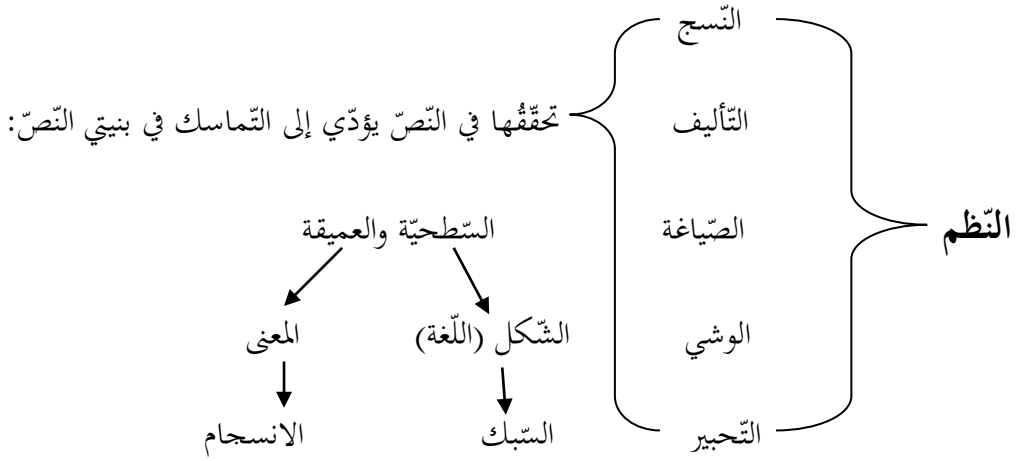

فالنّظم هو الرّبط بين المعاني وليس الربط بين الأصوات والحروف والألفاظ؛ حيث يقول الجرجانيّ «فليس الغرض بنظم الكلم أن تَوالَتْ ألفاظُها في النّطق بلْ تَناسَقَتْ دلالتُها وتلاقتْ معانيها على الوجه الّذي اقتضاه العقلُ»، وفليس كلّ كلامٍ متّسق في اللّفظ له معنى يقتضيه العقل؛ ففاقد العقل مثلا ينسج جملا بألفاظ متناسقة جاءت مرتّبةً متلازِمةً فرضتها العادة في الربط والوصل، لكنّ النّصّ فاقدٌ للمعنى لا يقبله العقل!!

وما دام النصّ عند الجرجانيّ نسيجا متماسِكا فهو يُشبِهُ نظرةَ (فانديك Van Dijk م: 1943م) الّذي دعا إلى تحليل النّصوص من خلال السّياق وليس من خلال دلالة الجمل متناثرة أو ألفاظ مستقلّة بمعانيها، حيث اعترض القواعد الكلاسيكيّة في تحليل النّصوص، ودعا اعتماد آليات الاتّساق والسّبك في النّصّ والمتمثّلة في الإضافة والحذف والاستبدال والذّكر يربط بذلك بين معاني الجمل وتناسقها في النّصّ.

ويقول الجرجانيّ: «على أنّ ها هنا نظما وترتيبا وتأليفا وصياغة وتصويرا ونسجا وتحبيرا، فهذه وأنّ سبيل هذه المعاني في الكلام الّذي هي مجاز فيه سبيلها في الأشياء الّتي هي حقيقةٌ

فيه»؛ هذا القول يبيّن لنا أن مستويات الخطاب وبلاغته تكون بتوفّر ثماني صفاتٍ جاءت ثنائيّاتٍ كما يلي:

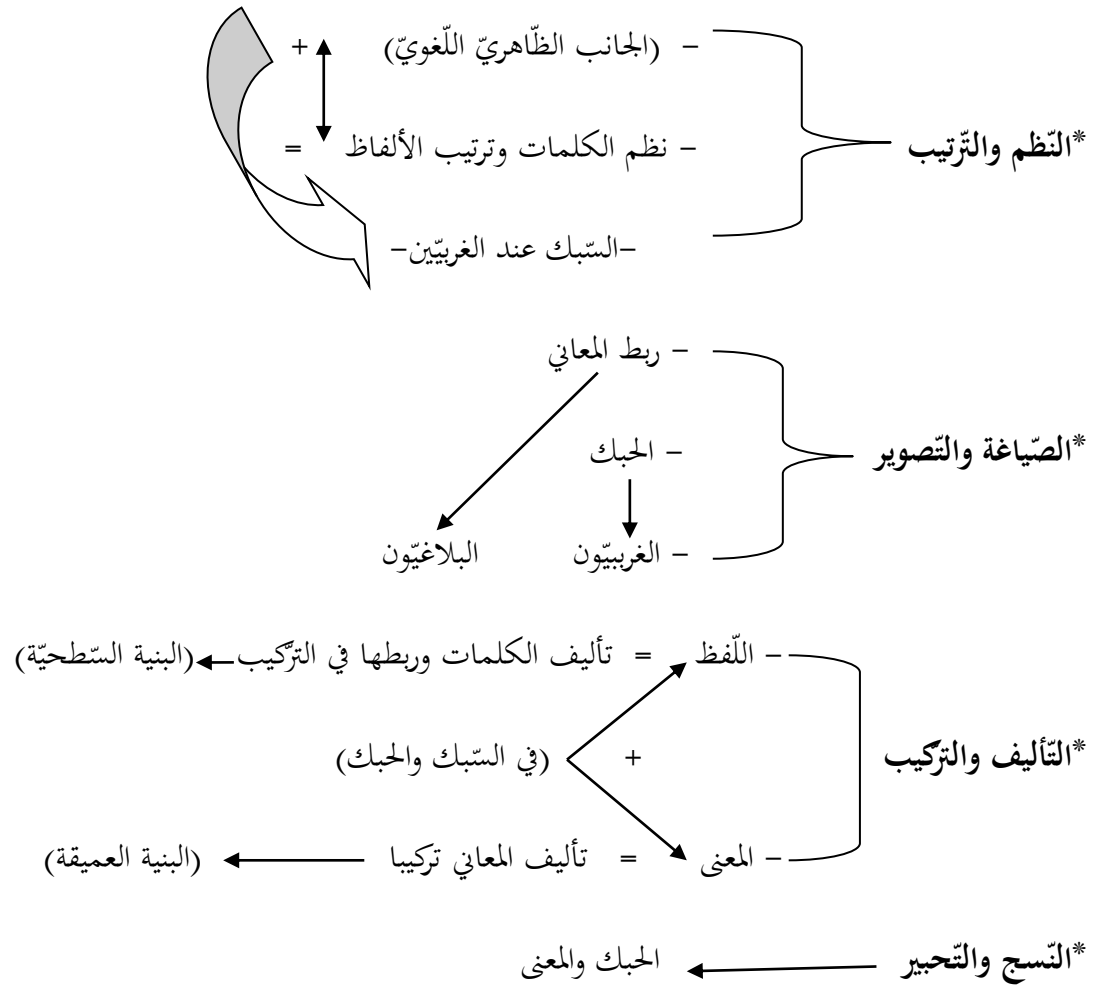

قد يختلف معي آخرون في هذا التّحليل، لكنّ جوهر المفهوم يظلّ واحدا وهو أنّ كلّ هذه الصّناعات تؤدّي إلى بلاغة الخطاب، أو بالأحرى إعجاز النّصّ القرآنيّ.

فمجمل مصطلحات عبد القاهر الجرجانيّ الّمانيّة وُضِعَت مجازًا لتمثِّلّ الكلام ومعناه؛

***الكلام** = نظمُ الكلم/ ترتيبٌ للّفظ

= تأليفٌ للمعاني / تركيبٌ للّفظ

= صياغة للّفظ / نصوير للمعاني

= نسيجٌ.../ دلالة ربط اللّفظ

***حالة المنظوم بعضه مع بعض (الربط)** = **Cohésion**

***كيفما جاء واتّفق (ربط معنى كلِّ لفظٍ بلفظ آخرَ بشكلٍ منطقيّ** ≠ **L'Aléatoire**